بشرى المشتاق

بصحة حديث الافتراق

حوارات علمية مع سلمان العودة حول حديث افتراق الأمة الإسلامية

تأليف
فضيلة الشيخ
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
حفظه الله تعالى





بشرى المشتاق

بصحة حديث الافتراق

حورات علمية مع سلمان العودة

حول احاديث

افتراق الأمة الإسلامية



الطبعة الاولى

لـــ دار الكتاب والسنة

رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية

[٢٣٤٣١/٢٠٠٥]

دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والتوزيع

المقر الرئيسي والإدارة ٩ شارع احمد اسماعيل متفرع من منشية التحرير من شارع جسر السويس عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال

٠٠٢٠١٠٤671439 - ٠٠٢٠١٠١٠٢١١٨٧

موقعنا علي الإنترنت www.dar-ketab-sunah.com

البريد الإلكتروني Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alketabwalsunnah@yahoo.com

info@dar-ketab-sunah.com

الدار الأثرية

٢٧ حي الشيخ الطاهر طريق مسجد العزيز مقابل مديرية الشؤون الدينية

عنابة – الجمهورية الجزائرية

جوال : 072286800 - 071250836

البريد الالكتروني :

dar_elatharia@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب
المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل الله؛ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

﴿أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فقد وقفت بواسطة بعض أصحابي من طلاب العلم على كلمة حول زيارة (سلمان العودة) إلى بلاد اليمن السعيد بدعوة من حزب الإصلاح الإخواني وجمعيته.

وقد تأملت مجموع كلامه في شتى محاضراته؛ فرأيته كحاطب ليل، يخبط خبط عشواء على طريقة المنهج البنّائي: الذي يحاول إرضاء جميع الأطراف، والعمل تحت جميع الرايات، ويزعم أنه ما أراد إلا إحسانًا وتوفيقًا.

والشيء من معدنه لا يستغرب؛ فقد نشأ العودة ورفقاؤه (دعاة الصحوة) في محاضن الإخوانية منذ بواكير الصبا، لكن في فترة التسعينيات من القرن الماضي لبسوا لبوس الدعوة السلفية مخادعة لدعاتها، واتقاء لبأسها، الذي كشف عوار هذه التنظيمات الحزبية

التي ما زادت المسلمين إلا خبالاً، وأوضعت خلالهم الفتنة في العقيدة والمنهج والدعوة والتزكية.

ولكن لي وقفة مع قوله: «إن حديث الفرقة الناجية مختلف في ثبوته، ولا يعد أصلاً من أصول الدين، ولم يحاول أحد من المعتبرين تحديد هذه الفرق فضلاً عن كون الحديث جاء أساسًا في سياق التحذير من الاختلافات، في حين يريد البعض أن يجعل منه قاعدة لصناعة الاختلافات ويضع هذا الحديث أصلاً، ويضع نفسه حكمًا ويحكم لنفسه بالخيرية والهداية، وعلى غيره بالتكفير والتفسيق والتبديع، وهذا نوع من الكبر والإعجاب بالنفس».

وكذلك وجدت له بحثًا مستقلاً في موقعه (الإسلام اليوم) بعنوان «حديث الافتراق» بتاريخ (١/٨/١٤٢٤هـ) فألفيته كلامًا هزيلاً تبطنه من كتب القرضاوي و(الجديع) فبينت ما فيه من اضطراب ومجازفة.

وختامًا: أسأل الله الهداية لجميع المخالفين، والثبات لأنصار سنة سيد المرسلين، وأن يجمع كلمة الموحدين على الكتاب والسنة بفهم السلف الصالحين.

وعلى الله قصد السبيل



بشرى المشتاق بصحة حديث الافتراق

١- **قوله**: «إن حديث الفرقة الناجية مختلف في ثبوته».

الجواب عليه من وجوه:

أ- المراد بحديث الفرقة الناجية: إخبار الرسول ﷺ في جملة مستفيضة من أحاديثه: أن أهل الكتابين من قبلنا اختلفوا على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستختلف اتباعًا لسننهم في الافتراق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.

ب- هذا الحديث مستفيض، فقد ورد من حديث أبي هريرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك الأشجعي، وأبي أمامة الباهلي، وسعد بن أبي وقاص، وعمرو بن عوف المزني، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي الدرداء، وواثلة بن الأسقع -رضي الله عنهم-.

وهذا الجمع الذي يستحيل تواطؤهم على الكذب، يرقى بالحديث إلى حد التواتر، أو أن يجعله -على أقل تقدير- في رتبة الاحتجاج.

ت- أن كثيرًا من هذه الأحاديث أسانيدها نظيفة؛ كحديث أبي

هريرة، ومعاوية، وعوف ابن مالك، وأبي أمامة وغيرهم.

ث- وعلى فرض أن أسانيد هذه الأحاديث في مفرداتها ضعف، فلا يشك من له أدنى خبرة بالصناعة الحديثية أن ضعفها ليس شديدًا، وهي بذلك ترتقي إلى درجة الصحة والثبوت، والاحتجاج.

ج- أن أئمة الصنعة الحديثية حكموا على حديث الفرقة الناجية بالثبوت ولم يختلفوا في تصحيحه، ودونك سرد بأسمائهم ومواطن قولهم:

أولاً: حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

قال الترمذي (٢٦٤٠): «حديث حسن صحيح».

وقال الحاكم (١/ ١٢٨): «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي.

ثانيًا: حديث معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-.

قال الحاكم (١/ ١٢٨): «هذه أسانيد تقوم بها الحجة في تصحيح هذا الحديث»، ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص ٦٣): «حسن».

ثالثًا: قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد».

رابعًا: قال الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ١٨٦): «صح من حديث أبي هريرة».

خامسًا: قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٨٢): «كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضها بعضًا: أن اليهود افترقت. . .» الحديث.

وقال (٤/ ٥٧٤): «كما جاء في الحديث المروي من طرق».

سادسًا: وممن نص على ثبوته عبد القاهر البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص ٧) فقال: «للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة».

سابعًا: محدث العصر شيخنا الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤و٢٠٥) عقد بحثًا حديثيًا نفيسًا وفند شبهات المخالفين.

كل هؤلاء الأعلام الفحول جزموا بصحة الحديث وثبوته، خلافًا لبعض المعاصرين الذين تكلموا في غير فنهم؛ فأتوا بالعجائب.

ويمكن الجزم بتلقي أئمة الحديث لهذا الحديث بالقبول بطريقتين.

الأولى: كثرة أصحاب السنن، والمسانيد، والمعاجم، وكتب التراجم، والعقائد الذين رووه دون إنكار لمتنه.

الثانية: كثرة الكتب التي صنفت في «الملل والنحل» مثل «الملل والنحل» للشهرستاني، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي، و«الفصل في الأهواء والملل والنحل» لابن حزم، و«مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري وغيرهم.

٢- **قوله**: «وهو في حالة ثبوته لا يعد أصلاً من أصول الدين».

والجواب عليه من وجوه:

أ- أن قوله في حالة ثبوته عبارة سياسية مطاطية؛ ليحفظ على نفسه خط الرجعة عندما يصادم بهذه الحشود من أهل العلم الذين صححوا الحديث وثبتوه وتلقوه بالقبول!!

ب- أن المناورة السياسية لا تصلح للقضايا العلمية؛ فالعلم فضاح، ومن تشبع بما لم يعط فهو كلابس ثوبي زور، ومن ادعى ما ليس فيه كشفته شواهد الامتحان.

ت- قوله: «لا يعد أصلاً من أصول الدين».

أولاً: هذه دعوى عريضة ليس لها حد يبين ما الأصل، وما الفرع وما الفرق بينهما؟!.

ثانيًا: أن الحديث ورد ناهيًا محذرًا عن اتباع سنن اليهود والنصارى في الاختلاف والافتراق . . . ألا يعد ذلك أصلاً من أصول الدين؟! . . . أليس جمع الكلمة وتوحيد الأمة من مقاصد بعث الله- تبارك وتعالى- المرسلين، والله يقول: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ لَا مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ﴾ -وفي قراءة: فارقوا- ﴿دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾.

ثالثًا: إن هذا الحديث يتكلم عن منهج الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، والجماعة المحفوظة التي لا يضرها من كذبها، ولا من خالفها، ولا من خذلها، ولا من ناوأها، وهي أهل السنة والجماعة وأتباع السلف الصالح -بإجماع علماء الإسلام-؛ أليست مسألة المنهج هذه إذن من أصول الدين؟

رابعًا: يشير بقوله هذا إلى بدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب، وهي باطلة وعاطلة؛ كما بسطت ذلك في كتابي «دلائل الصواب في إبطال تقسيم الدين إلى قشر ولباب».

٣- **قوله**: «ولم يحاول أحد من العلماء المعتبرين تحديد هذه الفرق. . .».

والجواب عليه من وجوه:

أ- أن كثيرًا من العلماء الذين صنفوا في الفرق والملل والنحل؛ كالشهرستاني، والبغدادي، والأشعري، وابن حزم؛ حدَّدُوا هذه الفرق أصولاً وفروعًا ومذاهب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٣٤٦): «وأما تعيين الفرق فقد صنف الناس فيهم مصنفات، وذكروهم في المقالات...».

ب- أن العلماء حددوا أصول الفرق.

وأقدم من تكلم في تعيين الفرق الضالة وتقسيمها يوسف بن أسباط، ثم عبد الله بن المبارك؛ كما نص على ذلك شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٥٠)، فقد ذهبا إلى أن أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة.

روى ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (١/ ٣٧٧) عن يوسف بن أسباط؛ قال: أصل البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، ثم تشعبت كل فرقة ثماني عشر طائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون: الجماعة، التي قال رسول الله ﷺ: «إنها الناجية».

وروى -أيضًا- في الكتاب نفسه (١/ ٣٧٩) عن ابن المبارك أنه سئل: على كم افترقت هذه الأمة؟

فقال الأصل أربع فرق: هم الشيعة، والحرورية، والقدرية، والمرجئة، فاقترفت الشيعة على اثنتين وعشرين فرقة، وافترقت الحرورية على إحدى وعشرين فرقة، وافترقت القدرية على ست عشرة فرقة، وافترقت المرجئة على ثلاث عشرة فرقة، فقال السائل: لم أسمعك تذكر الجهمية؟! قال: إنما سألتني عن فرق المسلمين».

وقد ذهب إلى هذا التقسيم البربهاري في «شرح السنة» (ص ٤٦)، والطرطوشي في «البدع والحوادث» (ص ٩٧).

وذهب ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص ٢٥) إلى أن أصول فرق أهل البدع ستة، وهي: الحرورية، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية، وقد انقسمت كل فرقة منها إلى اثنتي عشر فرقة؛ فصارت اثنتين وسبعين فرقة».

وكذلك يميل الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٢٠٦) إلى تقسيم أصول الفرق إلى سبعة: المعتزلة، والشيعة، والخوارج، والمرجئة، والبخارية، والجبرية، والمشبهة».

وانتصر لهذا القول السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (١/ ٩٢).

والذي يهمني تقريره في هذه المسألة:

١- أن العلماء متفقون على وجود فرق الأمة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ وهذا تصحيح صريح لحديث الافتراق.

٢- أن اختلافهم في تعيين أصول فرق البدع ليس لاختلافهم في ثبوت الحديث، وإنما لاختلافهم في بعض هذه الفرق هل هي من الإسلام أم لا؟ كاختلافهم في الجهمية، فتدبر هذا المقام، ولا تكن ممن ضلت به الأفهام.

٤- **قوله**: «فضلًا عن كون الحديث جاء أساسًا في سياق التحذير من الاختلافات».

والجواب عليه من وجوه:

أ- إذا كان الحديث كما وصفت وهو كذلك؛ فإن كثيرًا من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، تحذر من الاختلافات؛ فهي على ذلك شواهد قوية، وأدلة جلية، على صحة حديث الفرقة الناجية متنًا.

ب- الحديث الذي يحذر من الخلافات يجب أن يشاع بين الناس، ويذاع في مجالسهم، لا أن يشكك فيه، وإلا نكون ندعو إلى خلاف مقصوده من: إقرار الخلاف والدعوة إلى قبول الاختلاف، ورب العزة يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن

رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فأهل الرحمة لا يختلفون ولا يقرون الاختلاف، ولا يروجون للخلاف، بل الذي يفعل ذلك هم أهل العذاب -والعياذ بالله-.

٥- **قوله**: «في حين يريد البعض أن يجعل منه قاعدة لصناعة الاختلافات».

والجواب عليه من وجوه:

أ- أن هذا التعميم جزاف، وبيع غرر في سوق غير قائمة، وإن كانت موجودة فهي محاسدة!

ب- أن الذي يصنع الخلافات هم الذين فارقوا الفرقة الناجية، ورضوا بالمناهج المبتدعة؛ لقصر سبلها، وسرعة جناياتها؛ لكنها نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

ت- أن الخلاف والاختلاف قدر كوني، لكننا أمرنا باجتثاثه بسنن الله الشرعية: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾.

٦- **قوله**: «ويضع هذا الحديث أصلاً...».

والجواب عليه من وجوه:

أ- أن الحديث أصل في المنهج السني، والمعتقد السلفي، الذي لا يزيغ عنه إلا هالك، ولا يتنكبه إلا ضال.

ب- إن اهتمام العلماء قديمًا وحديثًا في تخريجه، وتصحيحه، والذب عنه، وتعيين مراد رسول الله ﷺ فيه، يعد أصلاً أصيلاً لن نبتغي عنه تحويلاً، أو نريد سواه بديلاً.

٧- **قوله**: «ويضع نفسه حكمًا، ويحكم لنفسه بالخيرية والهداية».

والجواب من وجوه:

أ- أن النبي ﷺ هو الذي جعله حكمًا على ضلال الفرق ومعيارًا لمنهج الفرقة الناجية.

ب- أن الخيرية والهداية فيما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ كما في حديث القرون المتواتر: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...»، وحديث الفرقة الناجية يتفق معه حذو القذة بالقذة.

٨- **قوله**: «وعلى غيره بالتكفير والتفسيق والتبديع».

والجواب عليه من وجوه:

أ- كون هذه الفرق من الأمة الإسلامية؛ كما في قوله ﷺ: «**وتفترق أمتي** ...» فهذا صريح أن هذه الفرق من المسلمين، والمسلم لا يُكَفَّرُ ولا يُفَسَّقُ ولا يُبَدّعُ إلا بدليل.

ب- كونها في النار لا يلزم منه الخلود فيها، فهذا الحديث لا

يخفى أنه من أحاديث الوعيد، وعقيدة أهل السنة والجماعة فيمن كان كذلك: أنه تحت المشيئة؛ إن شاء الله عفا عنه بفضله، وإن شاء عذبه بعدله.

ت- أن دخول الموحدين النار، إنما هو للتطهير من فتنتي الشبهات والشهوات التي اجتالتهم عن البيضاء النقية.

٩- قوله: «وهذا نوع من الكبر والإعجاب بالنفس».

قلت: الجواب من وجوه:

أ- الكبر بطر الحق وغمط الناس، ومن رد الحديث الثابت المتفق على تلقيه بالقبول بين علماء الأمة، هو الأولى أن ينسب إلى الكبر؛ لأنه رد الحق المبين والهدى المستبين.

ب- وأما الإعجاب بالنفس؛ فإنه خليقٌ بمن يرى لنفسه حقًا على غيره دون موجب شرعي، أما الاعتزاز بالإسلام والعض بالنواجذ على المنهج؛ إنما هو من باب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

١٠- وأختم حواري العلمي هذا مع (العودة)، (بالعودة) إلى كلامٍ سطرَه بيده، وقاله بملء فمه، في كتابه «صفة الغرباء» (ص

١٩ -٢٠) الذي يقرر فيه ثبوت صحة حديث الفرقة الناجية - رواية ودراية- قال:

«وقد ورد الحديث الذي يبشر بها عن جمع من الصحابة، وهم: أبو هريرة، ومعاوية، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعوف بن مالك، وأنس بن مالك، وأبو أمامة، وابن مسعود، وجابر بن عبدالله، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الدرداء، وواثلة بن الأسقع، وعمرو بن عوف المزني، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري.

وفي معظم الأحاديث ذكرت الفرقة الناجية بعد ذكر الاختلاف، وفي بعضها ذكر الاختلاف دون إشارة للفرقة الناجية.

وسأسوق هذه الأحاديث كلها مساقًا واحدًا، حتى يتبيَّن بوضوح ثبوت الخبر في اختلاف الأمة ثبوتًا لا شك فيه[١]، إذ إن بعض هذه الأحاديث يشهد لبعضها الآخر.

ويكفي في ثبوت وجود الفرقة الناجية أن تكون معظم هذه الروايات ذكرتها.

---

(١) سبحان الله! أين ذهب هذا اليقين في الثبوت، حتى آل إلى ما هو أوهى من بيت العنكبوت.

اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلبي على دينك، ويا مصرف القلوب صرّف قلبي إلى طاعتك.

ويؤكده تأكيدًا لا يقبل الشك[١]، ما سيأتي بعد من ذكر الطائفة المنصورة».

وهو يدل على جملة أمور:

أ- أن التصحيح والتضعيف عند (سلمان) للأحاديث النبوية: لا يصدر عن إحاطة بعلم الحديث الشريف، والصناعة الحديثية، وإنما الرجل يتلون بتلون المواقف السياسية التي يمسي فيها المرء مؤمنًا ويصبح كافرًا، ويمسي كافرًا، ويصبح مؤمنًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل وجاه ذليل.

ب- أن هذه الدراسات التي قام عليها العودة وأتباعه من (دعاة الصحوة) استدراج للسلفيين، ليؤمنوا بدعوتهم أول النهار، ويكفروا بها آخر النهار؛ ليصيبوا منهم مقتلاً وتشكيكًا.

ت- أن من لم يرسخ في فنه أتى بالعجائب، وحكى الغرائب، وجلب على أمته النوائب والمصائب... وكان منهجه متناقضًا وقوله متعارضًا ومن ثمارهم تعرفونهم.

---

(١) فقد نشره بعض المحبين على الإنترنت، وقد لاقى بفضل الله وتوفيقه قبولاً نسأل الله أن يتقبلنا بقبول حسن.

تنبيهات مهمة حول حديث افتراق الأمة

عرضت علي تعليقات وتعقبات كثير ممن قرأ (القسم الأول)(١) من هذا البحث **(بشرى المشتاق بصحة حديث الافتراق)**

---

(١) فإن قال قائل كالقرضاوي في «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» (ص ٣٤): «فأول ما ينبغي أن يعلم هنا أن الحديث لم يرو في أي من الصحيحين» برغم من أهمية موضوعه، دلالة على أنه لم يصح على شرط واحد منهما.

وما يقال من أنهما لم يستوعبا الصحيح، فهذا مسلم، ولكنهما حرصا أن لا يدعا بابًا من أبواب العلم إلا روياه منه شيئًا ولا حديثًا واحدًا».

فجوابه: أن آخر كلامه رد على أوله، فالشيخان لم يستوعبا الصحيح، ولذلك عدم ورود الحديث في الصحيحين لا يوهن درجته؛ فهو صحيح.

وأما أن صاحبي الصحيحين استوعبا أبواب العلم؛ فغير مسلم ودعوى يحتاجها دليل، فكما أنهما لم يستوعبا الصحيح لم يستوعبا أبواب العلم، وهذا لازم ذلك والله أعلم.

فليراجع القرضاوي أبجديات العلم قبل التشغيب على سنة رسول الله ﷺ.

وأما قوله: «إن بعض روايات الحديث لم تذكر الفرق كلها في النار إلا واحدة، وإنما ذكرت الافتراق، وعدد الفرق -ثم ذكر حديث أبي هريرة-».

قلت: أما هذا فكلام لا يسوي نقله؛ لأنه مردود من وجوه عدة:

١- ذكر حديث أبي هريرة للافتراق، وعدد الفرق؛ يفسره أحاديث أخرى كحديث معاوية، وعوف بن مالك، وأبي أمامة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكلها ذكرت أن الفرق كلها في النار إلا واحدة، فالمجمل يحمل على المفصل كما لا يخفى.

٢- ذكر حديث أبي هريرة للافتراق وعدد الفرق من لوازمه: أن هذه الفرق مخالفة لما=

فرأيت أن أسجل ملاحظاتي؛ لينتفع المفارق المخالف قبل الموافق المآلف؛ لأن العلم تواصل شريف وبحث وتصنيف:

= كان عليه السلف الأول، فهي معرّضة لأحاديث الوعيد؛ كما لا يخفى؛ لأن الاختلاف والتفرق مذموم.

وأما غمزه حديث أبي هريرة بعمرو بن علقمة بن وقاص الليثي.

فالجواب:

أ- هذا تعليق بليد للكوثري، حيث حاول تضعيف الحديث بهذا الراوي؛ كما في مقدمة «التبصير في الدين» (ص٥).

ب- أن عمرو بن علقمة الليثي احتج به مسلم متابعة، وحسن حديثه الترمذي، وصححه الحاكم، فهذا يدل على أن الرجل في درجة الاحتجاج، والله أعلم.

قوله (ص٣٥): «وقد روي الحديث بهذه الزيادة من طرق عن عدد من الصحابة: عبد الله بن عمرو، ومعاوية، وعوف بن مالك، وأن كلها ضعيفة الإسناد، وإنما قووها بانضمام بعضها إلى بعض.

والذي أراه أن التقوية بكثرة الفرق ليست على إطلاقها، فكم من حديث له طرق عدة ضعفوه؛ كما يبدوا ذلك في كتب التخريج والعلل وغيرها، وإنما يؤخذ بها فيما ليس له معارض، ولا إشكال على معناه».

والجواب:

١- اعترافه أن الحديث مروي بهذه الزيادة عن جمع من الصحابة، يدل على أن للحديث أصلاً بهذه الزيادة.

٢- قوله: «وكلها ضعيفة الإسناد».

إلقاء للحكم على عواهنه، فبدراسة هذه الأسانيد نجدها قائمة على سوقها صالحة للاحتجاج بها.

٣- هب أنها ضعيفة الإسناد؛ فإن الضعف الذي فيها من الضعف الذي ينجبر بالشواهد والمتابعات، فليس فيه كذاب ولا متروك ولا شذوذ ولا نكارة، وهذا النوع يتقوى بتعاضده، والله أعلم.

١- بعضهم -غفر الله له- حاول صرف القراء عن حقيقة المشكلة وهي (التشكيك) في صحة حديث من (أصول السنة) اتفق المحققون على ثبوته ولم نسمع الطعن فيه أو تضعيفه إلا من دعاة التقريب بين المذاهب (الإسلامية) وبخاصة تلك التي (لا طعم لها ولا لون ولا رائحة)؛ فإن العقبة الكؤود في وجههم هو هذا الحديث المستفيض.

أقول: حاول صرف القراء بطرق، منها:

١- ادعاؤه أن البحث شتم وسب ونبز وهم يريدون من ذلك:

أ- وصف الناقد لكلام العودة بأنه مخالف لأخلاق العلماء فينصرف الناس عن قوله ولو كان حقًا.

ب- الطعن في مصداقية الاستقراء العلمي الذي أتينا به جيلاً فجيلاً وكابرًا عن كابر.

فكانت هذه أولى (غلطاته) وأعلى (شطحاته) وأجلى (سقطاته) . . . أنه بدأ كلامه بذلك فضاقت عليه المسالك.

٢- تهوينه من كلام (العودة) وأنه لم يجزم بضعفه، بل لم يرجح ذلك، ولكن ذكر الخلاف فيه.

وهذه محاولة يائسة يراد منها:

أ- التهوين من شأن الخلاف[1] فيميع المنهج القويم، ويضيع الصراط المستقيم: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ب- دعواه أن من لم يجزم بضعف الحديث لا يضعفه، فهذه مصيبة، فإن التشكيك في السنة من سبيل المجرمين.

وإن كان الأمر ليس كذلك في الواقع؛ فإما أن يكون العودة في كلامه مثبتًا للحديث أو مضعفًا أو مشككًا.

فالأولى: لا يمكن لأحد أن يدعيها إلا فيما كان عليه سابقًا.

وأما الثانية: فهو كذلك.

وإن قيل غير ذلك كانت.

الثالثة: التي هي قاصمة الظهر والعياذ بالله، فإن التشكيك في السنة أخطر ألف مرة من التضعيف.

ت- ذكر الخلاف دون ترجيح ليس من طرائق العلماء، فإن العلماء إن لم يتوصلوا إلى حكم مثبت جازم أو راجح أو مرجوح

---

(١) متفق على صحته، واستفاض عن جمع من الصحابة يصل إلى حد التواتر.

توقف أحدهم وعلق الأخذ به على الصحة فقال: إن صح حديث كذا أخذت به، أو إن صح الحديث فمحمول على كذا وكذا.

وشتان بين المنزلتين.

٣- دعواه أن سلمان ذكر أن المعتبرين من العلماء لم يشغلوا أنفسهم بتحديد الثلاثة والسبعين فرقة، ولم يقل أن الأئمة لم يتكلموا في الفرق.

وهذا قول من لم يقرأ كلام سلمان، فهو لذلك لا يدافع عن حق رآه، وإنما عن شخص أحبه وهواه، ولذلك فليقرأ كلام العودة: «ولم يحاول أحد من العلماء المعتبرين تحديد هذه الفرق. . .».

أ- أليس هذا نفي أن العلماء تكلموا في الفرق أصولاً أو فروعًا.

ب- إن كثيرًا من العلماء المعتبرين تكلموا في أصول الفرق، وهذا تحديد منهم للثلاث والسبعين، فكلام يوسف بن أسباط، وابن المبارك، والبربهاري، والطرطوشي، وابن الجوزي، والشاطبي، والسفاريني، واضح جلي في تحديد هذا الفرق أصولاً وفروعًا، فإن لم يكن هؤلاء من العلماء المعتبرين والأئمة المبرزين فعلى العلم السلام.

ت- أليس من صنف في هذه الفرق وكتب عنها شغل نفسه بتحديد أصولها وفروعها وعددها وإلا فكيف يكتب عن واقع غير معروف و(الحكم على الشيء فرع عن تصوره).

٤- أما دعواه أن الكثيرين يدعون الحرص على السلفية وتنقيتها من الأدعياء...

فأقول - وبالله وحده أجول وأصول -:

أ- هذا يدل على نقاء الدعوة السلفية وثباتها وانتشارها، وأنها كسفينة نوح من تعلق بها نجا ومن لم يركب معنا فهو من المغرقين.

ب- أن السلفية لا تثبت بالدعاوى.

فالدعاوى إن لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء.

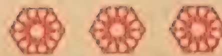
ت- أن السلفي يعرف بعقيدته ومنهجه وثباته وعدم تلونه أو مداهنته لأهل الأهواء والبدع ...

ولذلك أقولها - بكل صراحة ووضوح وجلاء-: أين موقع (سلمان) و(دعاة الصحوة) من هذا كله.

ومن أراد معارضتي في ذلك... فأقول له: إنني منذ نحو أكثر من ربع قرن أراقب وأؤرخ وأكتب وأحلل في هذا الميدان

وعندي بفضل الله ومنته جميع المنحنيات لـ (دعاة الصحوة) و(منظريهم) والذين أصبحت مجالات الدعوة في نظرهم كـ(المسرح) و(الشاشة الفضية) و(الشاشة الكبيرة) فيقرر الاعتزال اتباعًا لسنن أهل الكتابين وممن قلدهم من الممثلين والممثلات!! وكان ينبغي عليه أن يقرر الاعتدال وليس الاعتزال.

نسأل الله لهم الهداية والرجوع إلى السلفية فإن ذلك ما يثلج صدورنا. . . ولكننا نأبى أن يذر الرماد في عيوننا.



الأضواء الكاشفة على ما في مقال (سلمان) من التناقض والمجازفة

أولاً: قوله: «هذا الحديث المشهور عن النبي ﷺ: «لَيأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً، لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِى النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً» قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

قلت: صدر الكلام يتناقض مع آخره، وسباقه يتعارض مع سياقه.

فقد وصف الحديث بالشهرة، وساقه برواية ليست كذلك، فإن هذا اللفظ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وهو حسن بشواهده؛ كما بينته في كتابي «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه والأصحاب»، بينما أشهر روايات الحديث ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بإسناد حسن من

حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**».

ثانيًا: قوله: «ومدار كلام الأكثرين على هذا الحديث».

قلت: لم يبين هذه الأكثرية: هل هم علماء الحديث أو عامة الناس؟

فإن أراد علماء الحديث والمحققين من العلماء -وهو كذلك- فهذا يدل على تلقيهم لهذا الحديث بالقبول رواية ودراية ورعاية، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

وإن أراد عامة الناس؛ فهذه شنشنة نعرفها من أخزم، وأنت أحد رجلين:

إما مسترشد على سبيل نجاة، أو ممن، قال فيهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: «همج رعاع: أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».

فإن كنت الأول فحري بك أن تتبع العلماء، وإن كنت الآخر، فما للأعمى ونقد الدراهم.

ثالثًا: قوله: «بل لا يكاد أحد يتكلم في الخلاف إلا وذكره».

قلت: هذا إقرار منك أن هذا الحديث أصل في الباب، ولذلك لم يستطع أحد تجاوزه، فإن كان كذلك فلم محاولة تجاوزه مبنى أو معنى أو التشكيك فيه والتشغيب عليه؟!

رابعًا: قوله: «وربما بالغ البعض وأكثروا من روايته وسياقه عند العوام وغيرهم، ممن لا يحيطون بهذا الحديث علمًا ولا يدركون أبعاده».

قلت: لم يبين مراده من (البعض) وهذا الإجمال ليس فيه علم، بل هو أصل من أصول أهل البدع؛ كما قال الإمام ابن القيم في «نونيته».

وهذا (البعض) عند سلمان وأشياعه هم دعاة السلفية، يذكرون هذا الحديث، ويدندنون حوله؛ لتغليظ الزجر عن الخلاف، وتنفير العامة منه، للبعد عنه . . . فهم محسنون من كل وجه:

أ- يذكرون العوام بأحاديث الرسول ﷺ، ولا يربطونهم بحزب أو تنظيم أو حركة أو طائفة أو شيخ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٩٢):

«وأما «رأس الحزب» فإنه رأس الطائفة التي تتحزب؛ أي: تصير حزبًا؛ فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، فهذا من التفرق الذي ذمه الله -تعالى- ورسوله، فإن الله ورسوله أمر بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على البر والتقوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان».

ب- من استدل بحديث رسول الله خير ممن يستدل بأقوال الرجال.

خامسًا: قوله: «ولذلك أحببت أن ألقي الضوء على هذا الحديث».

قلت:

أ- حديث النبي ﷺ ضياء بذاته، لا يحتاج إلى أضوائك، فهو كما قال ﷺ في حديث أبي الدرداء عند ابن ماجه بإسناد حسن: **«وايم الله! لقد تركتكم على مثل البيضاء؛ ليلها ونهارها سواء»**.

ب- هذا الوصف يوحي من طرف خفي -شعرت أم لم

تشعر-: أن الحديث النبوي غير مفهوم، بل هو واضح جلي كالشمس في رائعة النهار.

سادسًا: قوله: «هذا الحديث لم يخرجه صاحبا الصحيح: البخاري ومسلم؛ وهذا بطبيعة الحال لا يعني عدم صحته، لكنّ عدم تخريجهم له -والله أعلم- ربما لأنه يتقاصر عن شرطهم فيما يخرجونه من الأحاديث».

أ- ما فائدة الاستدراك على الشيخين في عدم إخراج الحديث، إن كان ذلك لا يوهن الحديث؛ فهل من شرط الشيخين -رحمهما الله- أن يخرجا كل الأحاديث الصحيحة[١].

إذن المراد التشغيب والتشعيب ثم التشكيك، وهذه طريقة القرضاوي في التعامل مع السنة؛ كما في كتابه: «كيف نتعامل مع السنة»، ومن شابه شيخه فما ظلم.

ولكنه والله ظلم ... ظلم حديث رسول الله ﷺ ... وظلم أمة الإسلام بتشكيكها بحديث هو وصف لدائها، وفيه علاجها، ومنهاج لشفائها ... وظلم نفسه إذ انتجع مكانًا قصيًا،

---

(١) متفق على صحته، واستفاض عن جمع من الصحابة يصل إلى حد التواتر.

فقد تصدر قبل أوانه، وتصدى لهوانه . . . فاربع أيها الرجل على نفسك.

ب- إذا كنت تعتقد أن الحديث صحيح؛ كما ذكرت، فهل الصحيح مرتبة واحدة، أم مراتب، وهل اختلاف هذه المراتب يوهن من الاحتجاج بالصحيح الذي هو أدنى مراتب الصحة . . . والجواب معلوم للناشئة من طلاب علم الحديث . . . إذن فلم التقليل من درجة صحة الحديث إذا كان قد حاز على درجة الاحتجاج، واستدل به جمهور العلماء.

سابعًا: قوله: «الحديث رواه أحمد وأهل السنن من طرق».

قلت: كلام لا يسمن ولا يغني من جوع في ميدان التحقيق والتخريج!!

ثامنًا: قوله: «ومن العلماء من صححه أو حسنه كالترمذي، والحاكم، والذهبي، وابن تيمية، والشاطبي، وابن حجر وغيرهم ومنهم من ضعفه كابن حزم وابن الوزير وغيرهم».

قلت: نصب الخلاف بين أقوال المثبتين للحديث والطاعنين فيه؛ ليصل إلى ما قاله في (اليمن) أن الحديث مختلف فيه، فيلقي الشبه ويمررها؛ لتتصدع قلوب السامعين؛ فتنهار ثقتهم بالحديث.

وأما تضعيف ابن حزم وابن الوزير فقد بينت اضطراب ابن حزم في (نصح الأمة)، وأما ابن الوزير فضعف بعض طرقه، ولم يضعف الحديث بالجملة؛ كما بينته في المرجع المذكور بما تنشرح له الصدور.

تاسعًا: قوله: «ومذهب الأكثرين في ثبوت الحديث أقوى؛ فإن الحديث بمجموع طرقه ثابت».

أ- ثبوت الحديث ليس لأكثرية العلماء الذين ذكروه، وإنما لنظافة إسناد كثير من رواياته.

ب- تصحيح أكثرية العلماء للحديث يكفي في طمأنينة النفس، وانشراح الصدر إلى هذا الحديث رواية ودارية.

عاشرًا: قوله: «لكن لا يجب أن ينظر إليه، وكأنه لم يرد في باب الخلاف غيره».

فالجواب:

أ- استدراك في غير محله؛ لأنه لم يقل أحد من العلماء أن الحديث فريد في بابه وإن كان أصلاً فيه.

ب- اعتراض على ظاهر الحديث، وأنه غير مراد، وهذه مدرجة للطعن في الحديث دراية.

ت- مقدمة لنصب التعارض بين أحاديث رسول ﷺ، وقد فعل.

حادي عشر: قوله: «نصبه للخلاف بين حديث الافتراق، وحديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: **«أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخر عذابها في الدنيا القتل، والزلال»**.

ثم قال بعد تخريجه: «فهذا الحديث فيه، إشارة إلى رحمة الله هذه الأمة، وأنه ليس عليها في الآخرة، عذاب، وإنما عذابها في الدنيا».

فالجواب:

١- أن الحديثين ليس بينهما إشكال أو تعارض، وأما مرتبتهما فهي واحدة من حيث الثبوت.

٢- أن المقصود بـ(الأمة) هنا غالبها للقطع بأنه لا بد من دخول بعضهم النار للتطهير، أفاده المناوي.

خلافًا لمن جهل.

٣- إطلاق مفهوم الحديث بأن الأمة لا عذاب عليها في الآخرة فيه إلغاء لجملة أحاديث تؤكد أن المذنب والعاصي والمبتدع قد يعذب في الآخرة.

ثاني عشر: قوله: «هذه الأمة أفضل الأمم عند الله -تبارك وتعالى- فهي بيقين قطعي بمحكمات الكتاب والسنة، أفضل الكتاب من اليهود في زمانهم، ومن النصارى في زمانهم، ولذلك قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والنصوص النبوية في ذلك متواترة مقطوع بها، فهذه الأمة هي أفضل الأمم، وينبغي أن لا يفهم الحديث أن الأمة الإسلامية أقل اختلاف من هذه الأمة، بالتالي هي أفضل أو أقل شرًا».

الجواب:

١- أن بني إسرائيل كانت أفضل أمة في زمانهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: ٤٧] ومع هذه الأفضلية وقع التفرق ولم يرفع التفرق هذه الأفضلية!!

وكذلك الأمر في أمة محمد فهي خير الأمم، والتفرق فيها لا يرفع خيريتها على الأمم السابقة.

٢- أن كثرة الفرق لا يستلزم كثرة المختلفين في أمة محمد ﷺ؛

فالحديث يدل على كثرة الفرق، وليس على كثرة المختلفين؛ فلذلك فالخيرية موجودة؛ لأن الأكثرية على المنهج القويم والصراط المستقيم.

٣- إن فرق بني إسرائيل ليست كفرق هذه الأمة، فلم يرد نص أن فرق أهل الكتابين بقوا على دينهم، وإنما فرّقوه وفارقوه، وفرق هذه الأمة لا تخرج عن ملة الإسلام، ولذلك؛ فأفضلية الأمة وخيريتها على الأمم السابقة موجودة ومحفوظة.

ثالث عشر: قوله: «في «الصحيحين» عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: كنا مع النبي ﷺ في قبة فقال: «**أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟**» قلنا: نعم. قال: «**والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأحمر**».

وبذلك حكم النبي ﷺ لهذه الأمة أن نصف من يدخلون الجنة هم من أتباعه عليه الصلاة والسلام».

والجواب:

١- أن هذا الحديث ينقض افتراضه الأول بأن الأمة الإسلامية عذابها في الدنيا، وليس في الآخرة، وهذا الحديث يبين أن شطر

أهل الجنة من أمة محمد ﷺ وهذا يستلزم أن جموعًا من أمة محمد ﷺ ستدخل النار للتطهير، فتدبر.

٢- أن أكثرية أمة محمد في الجنة ليست بالنسبة لأهل الكتابين، وإنما بالنسبة لأهل الشرك بعامة، فهذا يدل على أن المختلفين في أمة محمد أقل عددًا من المختلفين في الأمم السابقة، وإن كان المختلفون في أمة محمد وهم الأقل أكثر فرقًا من الأمم السابقة.

رابع عشر: قوله: «قد عفا الله تبارك وتعالى لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان؛ كما في آخر سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وفي الحديث الصحيح: «**إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**».

وهذا المعنى أيضًا في الجملة معنى مقطوع به متداول عن الفقهاء والأصوليين».

والجواب:

١- أن الدليل لا يوافق الاستدلال فشتان بين مشرق ومغرب.

٢- أن عفو الله عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه، يدل

على رحمة الله بهذه الأمة، وهي كذلك أمة مرحومة، ولا يتعارض هذا مع أحاديث الافتراق.

خامس عشر: قوله: «رفع الله - سبحانه وتعالى - عن هذه الأمة الآصار والأغلال التي كانت من قبلنا: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقد استشكل جمع من أهل العلم كثرة الفرق في هذه الأمة، كما في الحديث.

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأجوبة منها:

١- طول عمر هذه الأمة، وامتدادها كما هو معروف.

٢- أن تفرقها أهون شرًا من تفرق غيرها من الأمم، والفرقة لا يلزم أن تكون ثلاث وسبعين فرقة، ومع ذلك لا تشمل إلا قسمًا محدودًا من الأمة.

إنما الإشكال الحقيقي لدى من يجعل نفسه الفرقة الناجية، ثم يصم الآخرين بالضلال، ويوعدهم بالنار، وقد قال ﷺ: «**إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم**»؛ يعني: أكثرهم هلاكًا، وفي رواية «**أهلكَهُم**»؛ أي: تسبب في هلاكهم».

وقال القرضاوي (ص٣٥): «وهنا إشكال أي إشكال في

الحكم بافتراق الأمة أكثر مما افترقت اليهود، والنصارى من ناحية، وبأن هذه الفرق كلها هالكة في النار إلا واحدة منها، وهذا يفتح بابًا لأن تدعي كل فرقة أنها الناجية، وأن غيرها هو الهالك، وفي هذا ما فيه من تمزيق الأمة، وطعن بعضها في بعض مما يضعفها جميعًا، ويقوي عدوها ويغريه بها».

الجواب:

١- كما قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»؛ فالعجب مهلك، وأهلك إبليس.

٢- وهذا القول يدعو قائله إلى اليأس من إصلاح الناس، فيكون سببًا في إهلاكهم.

٣- أن هذا الحديث لا يفتح للخلاف بابًا، وإنما هو يحذر من الخلاف، ويغلق بابه، ويخبر عن ذلك من باب التنفير والتحذير، ولو لم يرد قوله: «**كلها في النار إلا واحدة**»؛ فإن هذه الأحزاب والفرق يدعي كل منها أنه على الحق؛ كما قال -تعالى-: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

ولكن الحديث أعلن المنهج الحق الذي من اتبعه نجا، ومن

خالفه هلك، وهو: منهج الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، والأدلة على صحته لا تعد ولا تحصى، وقد أفردناها في كتاب مفرد.

٤- أن طعن هذه الأحزاب بعضها ببعض لا يتوقف.

٥- ليست المشكلة فيمن يجعل نفسه الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة؛ لأن رسول الله ﷺ أخبر بالفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وبين أنها جماعة أفهام لا أبدان، وأنها منهج سلفي متبوع، وليس منهجًا مبتدعًا.

فالدعاوى إن لم تقم عليها بينات أصحابها أدعياء، وهل تقبل دعاوى دون دليل وبرهان: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

٦- أن الفرقة الناجية لا تصف مخالفيها بالضلال والابتداع إلا بعد إبلاغهم الحجة الربانية، وبيان المحجة البيضاء النقية لهم، وإبلاغهم الرسالة النبوية؛ فلا تضليل ولا تفسيق إلا بعد ظهور الحجة واستبانة الحجة: «**تركتكم على بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»، فهناك هالكون وضالون ينحرفون عن المحجة البيضاء، اتباعًا للبدع والعوائد والأهواء.

٧- أن من قال: «هلك الناس فهو أَهْلَكَهُم» أو«أَهْلَكُهُم».

هذا الكلام يؤدي إلى العجب، وأن يرى المسلم نفسه على عباد الله؛ فيكون بذلك أهلكهم.

وأورد النووي -رحمه الله- شرح هذا الحديث في «الأذكار - بتحقيقي» (٢/ ٧٦٣-٧٦٤): قال الإمام الحافظ أبو عبد الله الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» في الرواية الأولى: قال بعض الرواة: لا أدري هو بالنصب أم بالرفع؟

قال الحميدي: والأشهر: الرفع؛ أي: أشدهم هلاكًا.

قال: وذلك إذا قال على سبيل الإزراء عليهم، والاحتقار لهم، وتفضيل نفسه عليهم؛ لأنه لا يدري سر الله -تعالى- في خلقه، هكذا كان بعض علمائنا يقول.

هذا كلام الحميدي.

وقال الخطابي: معناه: لا يزال يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول: فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك؛ فهو أهلكهم؛ أي: أسوأ منهم حالاً فيما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وربما أدّاه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أن له فضلاً عليهم، وأنه خير منهم، فيهلك.

هذا كلام الخطابي فيما رويناه عنه في كتابه «معالم السنن».

سادس عشر: قوله: «هذه الفرق الثنتان والسبعون أخبر النبي ﷺ أنهم من أمته: «وستفترق هذه الأمة»، و«ستفترق أمتي»، إذاً هم ليسوا بكفار، ولا مشركين، لكنهم مسلمون مؤمنون، وقد يكون فيهم المنافق أو الكافر، لكن فيهم كثير من هذه الأمة من أهل الإيمان والإسلام، وإن كان عندهم نوع من الاختلاف ونوع من التقصير، وهذا ما رجحه أهل العلم، كابن تيمية، والشاطبي، وغيرهم».

الجواب:

ونحن نقول بذلك، ونحذر من خطورة تكفير الفرق دون دليل واضح، وبرهان لائح، وبذلك يصح الحديث معنى ومتنًا، وكفى باعترافك هذا دليلاً على أن الحديث ينبغي أن يذاع، ويشاع، ويملأ الأسماع، وينتشر في جميع البقاع، والأصقاع، لعلهم يحذرون.

وهذا ما أقر به القرضاوي (ص٣٨) بعدما أعياه التفصي فقال: «ثم إن الحديث يدل على أن هذه الفرق كلها جزء من أمته ﷺ، أعني أمة الإجابة المنسوبة إليه، بدليل قوله: «تفترق أمتي»

ومعنى هذا -أنها- برغم بدعتها لم تخرج من الملة، ولم تفصل عن جسم الأمة المسلمة».

قلت: هذا ما كنا نبغي من قبل؛ فأنطقهما الله بالحق، فلا تناقض في الحديث رواية ولا دراية.

سابع عشر: قوله: «وهذا وعيد لا يلزم تحققه، ولذا يقول ابن تيمية -رحمه الله- أن هذا الحديث ليس بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾ [النساء: ٣٠] ومع ذلك لا نشهد لمعين بالنار؛ لإمكان توبته من ذنبه، أو كانت له حسنات محت سيئاته، أو عفا الله عنه بمصائب وغير ذلك».

وقال القرضاوي (ص٣٨): «كونها (في النار) لا يعني الخلود فيها كما يخلد الكفار، بل يدخلونها؛ كما يدخلها عصاة الموحدين.

وقد يشفع لهم شفيع مطاع من الأنبياء، أو الملائكة، أو آحاد المؤمنين، وقد يكون لهم من الحسنات الماحية أو المحن

والمصائب المكفرة، ما يدرأ عنهم العذاب، وقد يعفو الله عنهم بفضله وكرمه، ولا سيما إذا كانوا قد بذلوا وسعهم في معرفة الحق، ولكنهم لم يوفقوا وأخطأوا، وقد وضع الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

الجواب:

ذلك ما كنا نبغي:

بيان الحديث رواية، وقد صح وثبت، واتفق المحققون على ذلك.

ودراية وأن هذه الفرق لا تكفر؛ لأنها من أمة محمد، ولكن هي في الوعيد تحت المشيئة، إن شاء الله عذب؛ فبعدله، وإن شاء عفا؛ فبفضله، لا معقب لحكمه، وتمت كلمة ربك حقًا وصدقًا، والله من وراء القصد».

ثامن عشر: قوله: «ولم يكن من شأن السلف -رضي الله عنهم- الاشتغال بتعيين هذه الطوائف؛ كما ذكر الشاطبي في «الموافقات»، وابن تيمية وغيرهم؛ فإن ابن تيمية -رحمه الله- يقول: من كان من الثنتين والسبعين فرقة منافقًا فهو كافر في

الباطن، ومن لم يكن منافقًا في الباطن، كان مؤمنًا بالله ورسوله لم يكن كافرًا، وإن أخطأ في التأويل كائنًا ما كان خطؤه، وإذا قال المؤمن: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] فإنه يقصد كل من سبقه من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويله فخالف السنة، أو أذنب ذنبًا؛ فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارًا، بل مؤمنون فيهم ضلال وذنب يستحقون به الوعيد».

والجواب:

١- لقد عين أئمة السلف أصول هذه الفرق وفروعها؛ كما قدمنا.

٢- أن وعيد هذه الفرق بالنار لا يستلزم خلودها؛ كما بيَّنَّا لأن أحاديث الوعيد تحت المشيئة، وهي في جملتها من أمة محمد.

٣- أننا نحكم على مناهج الفرق، ولا نحكم على الأفراد،

ففيهم الجاهل والمتأول والمتلاعب به تحت الشعارات الحماسية الدينية، والعاطفة الإيمانية؛ فإذا تبين لهم الحق رجعوا إليه؛ كما رجعت جماعات الخوارج مع ابن عباس بعد مناظرته لهم.

تاسع عشر: قوله: «مع أن الحديث ليس في الصحيحين، فقد ضعفه ابن حزم وغيره، ولكن حسنه غيره، أو صححه الحاكم، وقد رواه أهل السنن من طرق».

الجواب:

١- كون الحديث ليس في الصحيحين أو أحدهما لا يعد مطعنًا في صحته، وبخاصة بعد ثبوته، وتلقي المحققين له بالقبول.

٢- تضعيف ابن حزم للحديث ليس في العير ولا في النفير؛ لأن بضاعته في الحديث مزجاة، وقد بسطت الرد عليه، وعلى ابن الوزير في (نصح الأمة) (ص٣٥-٤٧).

العشرون: قوله: «إن مثل هذا الحديث ينبغي أن يوضع في إطاره الصحيح، وإن كان ثابتًا عندنا إلا أنه ينبغي ألا يتعدى به قدره، وألا يكون سببًا لإشاعة الفرقة والخلاف بين المؤمنين».

والجواب:

أننا فصلنا كيف نفهم أحاديث الأمة؟ في محاضرة مستقلة ضمن قواعد منضبطة، وأصول صحيحة، وبيَّنّا أنه حديث إيجابي من كل وجوه.

الحادي والعشرون: قوله: «وقد وقفت على بحث قيم للأستاذ: (عبد الله الجديع)، عنوانه: «أضواء على حديث افتراق الأمة» أنصح بقرائته».

والجواب:

١- أن كتاب (الجديع) مبني على أصول متناقضة وآراء متعارضة في الرواية والدراية، وقد رددت عليه بما لا مزيد عليه في طبعة جديدة من كتابي: «نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة».

٢- أن (الجديع) غُيِّر وتَغَيَّر، فقد شب في الكويت ظاهرًا مع السلفيين، ولكنه كان من بقايا جماعة جهيمان، فظهرت عليه العجلة والشذوذ في الفتاوى؛ كقوله: أن العورة هي القبل والدبر، وإباحة الموسيقى والألحان، وجواز حلق اللحى،

والتشبه بالكفار في أزيائهم، وإباحة الدخان، وجواز إتيان المرأة في دبرها، إلى مجموعة كبيرة من شذوذه الشهوانية، وأحواله في بريطانيا لا تسر مخلصًا -هداه الله-، وإن فرح به الخلوف من الإخوان المسلمين، ثم ضم إليها كتابًا في الشبهات، نسأل الله العصمة من فتنة الشهوات والشبهات.

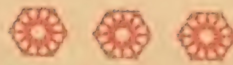
٣- أن (الجديع) أعلن انسلاخه من السلفية؛ فانضم إلى مجلس علماء أوروبا تحت قيادة القرضاوي، مما يدل على أن الرجل أعلن عن حزبيته الإخوانية . . . وهكذا القوم يتمسكنون حتى يتمكنون . . . ويظنون أنهم يخدعون السلفيين . . . لكن تعيش لهم الجهابذة.

٤- من معرفتي السابقة بـ(الجديع)؛ فهو متقلب كل يوم برأي، وانتحل اسمًا مستعارًا؛ هو عبد الله بن يوسف (الجديع) مخفيًا حقيقته؛ وهو: يعقوب جاسم اليعقوب، مما يدل أن وراءه جهات خفية تحركه وتوجهه، والله أعلم.

فمثل هذا الرجل ينبغي على (سلمان) أن يحذر منه؛ لا أن ينصح بكتبه ومقالاته إلا أن يكونا قد اجتمعا واتفقا على حرب

هذه الدعوة السلفية المباركة بالتشكيك في أصولها وأدلتها.

نسأل الله العافية، والحجة الكافية الشافية.

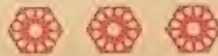


كيف نفهم أحاديث افتراق هذه الأمة؟

محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ: سليم بن عيد الهلالي - حفظه الله - في مسجد القعقاع بن عمرو - حي الرشيد - عمان

بتاريخ ١١ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ

الموافق ١٢-١٢-٢٠٠٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة القول

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد: فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أسباب اختيار الموضوع:

إخوة الإسلام: حديثنا في هذه الليلة المباركة -إن شاء الله- التي نسأل الله: خيرها، وبرها، وفتحها، ونعوذ بالله من شرها وشر ما بعدها، حول حديث كثر اللغط حوله في هذا الزمان... حديث استفاض في سنة رسول الله ﷺ، وتلقاه علماء الأمة بالقبول.

ولكنني -وللأسف- رأيت بعض الأكاديميين يلقون الكلام على عواهنه، فيقولون: هو حديث لا يثبت، هو حديث مضطرب، أو فيه خلاف، أو... إلخ.

وإنما أتي القوم من عدم فهمهم لهذا الحديث، فكانت هذه المحاضرة التي أرجو الله أن تكون في موازين أعمالنا، وفي مثاقيل حسناتنا، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وعنوانها: «كيف نفهم أحاديث افتراق هذه الأمة؟».

فلا بد من ضوابط للتعامل مع النص النبوي.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

فالآفة ليست في الماء، وليست في الشمس، وإنما في العين والفم.

مع حديث الافتراق -تحليل وتبيين-:

قال ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة».

حتى نفهم هذا الحديث فهمًا سليمًا؛ كما فهمه الرسول ﷺ، والصحابة -رضي الله عنهم- يجب علينا أن نحلله كلمة كلمة، وأن نقف عند عباراته فقرة فقرة، وأن نقف على معالمه وظلاله بالجملة.

١- قال الرسول ﷺ: «**افترقت اليهود . . . افترقت النصارى . . . وستفترق أمتي. . .**».

هذا الكلام النبوي يدل أن هذه الأمة، ستتبع سنن الذين من قبلهم من أهل الكتابين: اليهود والنصارى.

هذا المعنى ورد في حديث متواتر عن الرسول ﷺ: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرًا بشبر، أو ذراعًا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**».

قالوا: اليهود والنصارى؟

قال: «**فمن؟!**»[(١)].

إذًا عندما يخبرنا الرسول ﷺ في حديث الافتراق بأن اليهود والنصارى تفرقوا، وأننا سنصير مثلهم في هذا التفرق، هو تأكيد

(١) صحيح - أخرجه الترمذي وغيره، وصححه شيخنا في «صحيح الجامع» (٨٢٠٢).

لحديث «اتباع السنن» وهو حديث متفق عليه بين علماء الأمة، وهذا المعنى لا يخرج عن هذا المعنى، فاتفق الحديثان في هذا المعنى..

معنى الحديث يعضده آي القرآن:

فالرسول ﷺ يحذرنا من خطورة اتباع سنن اليهود والنصارى، ثم إن حديث رسول الله ﷺ يصدقه قول الله في فاتحة الكتاب: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

فأنت يا عبد الله! تطلب من الله الهداية أن يوفقك إلى الصراط المستقيم، وإلى المنهج القويم، وذلك باتباع صراط الله، وصراط رسوله ﷺ، وصراط الذين أنعم الله عليهم، ثم تقول ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

فأنت تطلب من الرب -تعالى- أن يوفقك إلى صراط الإسلام والسنة، وأن تجتنب صراط أهل الكتابين الذين افترقوا، فلا تقع في الاختلاف كما اختلفوا، لأن الضالين والمغضوب عليهم هم: اليهود والنصارى؛ كما في حديث عدي بن حاتم قال: سألت

رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «هم اليهود»، ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قال: «النصارى هم الضالون»[(١)].

شبهة وجوابها:

وقد يرد سؤال: هل من سنن اليهود والنصارى التفرق؟

الحديث ذكر: أن من سنن اليهود والنصارى التفرق والاختلاف في الدين، فاليهود افترقوا على إحدى وسبعين، والنصارى على ثنتين وسبعين، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة.

فهل افترق اليهود والنصارى بنصوص غير هذا النص؟ . . .

نعم .. تدبروا قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا﴾ -وفي قراءة متواترة: فارقوا- ﴿دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾.

ما هي هذه الشيع؟

إنها الأحزاب والفرق؛ لأن الآية نفسها تبين ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

---

(١) أخرجه اللالكائي في «السنة»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»؛ وهو حديث صحيح بمجموع طرقه، الصحيحة: «١٦٤٢».

هذه الآية تخبرنا أن المشركين من قبلنا فرقوا دينهم وكانوا شيعًا وأحزابًا وفرقًا، إذًا وقع الخلاف في اليهود والنصارى.

فرسول الله ﷺ يحذرنا من عدم اتباعهم في اختلافهم، وعدم اتباعهم في افتراقهم، وعدم سلوك سننهم!.

إذن هذا الحديث لا يقر الخلاف بل يحارب الخلاف، ويجتث التفرق من أصوله، ويقتلعه من جذوره.

تأصيل عقدي لفهم النص النبوي:

وقد يسأل سائل، ويقول: لماذا يفترق الناس؟ ولماذا يختلفون؟

أليس الرب -تبارك وتعالى- قادر على أن يجعل الناس أمة واحدة؟

بلى... قادر ولكن الخلاف سنة كونية! والتفرق أمر قدري واقع لا محالة، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

فقول الله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾؛ أي: لا يزال الناس مختلفين إلا من رحم ربك؛ فاستثنى من الخلاف أهل الرحمة.

إذًا الخلاف عذاب عياذًا بالله ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾؛ أي: خلقهم للاختلاف؛ كما هو قول جماهير أهل التفسير.

أقسام القدر:

المراد الإلهي على نوعين: مراد قدرًا، أوجده الله؛ فهو مراد لغيره، ولكن لا يحبه الله.

ومثال ذلك: خلق إبليس، من الذي خلق إبليس، . . . أليس الله -سبحانه-، فهو مراد قدرًا، أي: أن إبليس لم يخلق جبرًا عن الله؟ بل خلق بإرادة الله.

فهل رب العزة -تبارك وتعالى- يحب إبليس؟!!

وهناك مراد شرعًا مراد لنفسه، مثل الصلاة، والزكاة، والحج، وشعائر الإسلام، لما فيه من الخيرات.

منها: اختبار الخلق، وتكليفهم، حيث يوجد طريق خير وطريق شر، ويقف الإنسان على مفترق طرق، فيختار طريق الخير أو طريق الشر، فيكون عندئذ مسؤولاً عن أفعاله وأعماله أمام مولاه -عز وجل- ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾، ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾؛ فالذي يختار طريق الخير يثاب، والذي يختار طريق الشر يعاقب.

ولذلك ثبت عن النبي ﷺ: «لو أراد الله أن يعصى ما خلق إبليس»[(١)].

هل يريد الله المعاصي؟!

يريد ذلك كونًا، ولكن يبغضه.

إذًا الخلاف مقصود رباني؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، ليميز المتبع من المبتدع، ليميز البر من الفاجر، لو أن الناس ليس أمامهم إلا طريق واحد، فكل الناس سيسيرون عليه رغم أنوفهم، ولذلك لا يكون للتكليف الشرعي معنى!

ولكن لمَّا كان طريقان: طريق خير وطريق شر، والإنسان يختار أي الطريقين شاء، فسيكون مسؤولاً عن فعله واختياره، فالذي يسلك طريق الخير يثاب ويدخل الجنة، والذي يسلك طريق الشر يعاقب ويقاد إلى جهنم، والعياذ بالله.

٢- ولذلك فإنه لا يجوز إخفاء الخلاف أو كتمانه أو التستر عليه أو تجاهله.

لأن الحقيقة لا بد أن تظهر مهما عمل على تأجيلها، ولأن

---

(١) «الصحيحة: (١٩٣٢)».

معرفة مواطن الزلل من حق كل مسلم؛ ليكون على بينة من أمره، فلا تكرر المشكلة نفسها، ولا تقع المعضلة ذاتها.

ولأن إخفاء الخلاف والظهور بمظهر الوحدة والائتلاف من سنن اليهود والنصارى، حيث وصفهم خالقهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

ولذلك؛ فإن إخفاء الخلاف، والتستر عليه، دعوة للسير على سنن المغضوب عليهم، الذين أمرنا ربنا في كتابه بمخالفتهم، وحذرنا رسول الله ﷺ في سنته من التشبه بهم، واتباع آثارهم.

٣- ومع ذلك؛ فإن الله -تبارك وتعالى- أمرنا بالقضاء على الاختلاف والتفرق بالأسباب الشرعية؛ لأنه لا يجوز للأمة أن تجتمع على غير قلوب صافية، لا يجوز للأمة أن تظهر الاجتماع وهي متدابرة، فتقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل.

إذًا أهل العلم تجتمع قلوبهم، وتجتمع أبدانهم، وأما أهل الشر؛ فتجتمع أبدانهم، وتتفرق قلوبهم وعقولهم وفهومهم؛ لأنهم يجتمعون على مصلحة دنيوية، فإذا انتهت المصلحة انفضوا عن دينهم وتركوه للأهواء . . . تجد دولة اليهود أجسادهم تجتمع في الانتخابات، وتجتمع في كل مكان، لكن إذا اختلفت المصالح

ينشق الحزب الواحد على نفسه؛ فيشكل أحزابًا جديدة . . . وهكذا . . .

بيان الاجتماع الشرعي الذي يريده الله ورسوله:

ديننا لا يقر اجتماع المصالح، ديننا يريد اجتماع القلوب، واجتماع العقيدة، واجتماع الفهوم، واجتماع المقاصد نحو الله -تبارك وتعالى-، ومع ذلك أمرنا الله بالقضاء على الخلاف، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣-١١٠]، ثم يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، والآيات في ذم الخلاف، والأمر بوحدة المسلمين كثيرة، يكفينا أن نتأمل قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢].

قال العلماء: (أمة) نصبت على الحالية؛ أي: حال الأمة في جميع مراحلها وتكوينها أمة واحدة، لا تقبل القسمة؛ لأنها تعبد ربًا واحدًا، وتقرأ كتابًا واحدًا، وتتجه إلى قبلة واحدة، وتتبع نبيًا واحدًا، فكيف تقبل هذه الأمة القسمة إذا وقع الانقسام في هذه الأمة، فهو دليل خلل في اتباعهم لمنهجهم، عندئذ يجب أن يراجعوا أنفسهم، وأن يحاسبوا أعمالهم، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، هذه الآية بيّنت لنا منهج الوحدة، وذمت خلافه، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إذا اعتصمنا

بحبل الله هل نتفرق؟! هل تمسكنا بحبل الله يفرقنا أم يجمعنا؟!

ثم ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾؛ أي: أنكم إذا تفرقتم فهذا دليل على عدم الاعتصام بحبل الله -تبارك وتعالى- وهذا الحديث هو بمعنى هذه الآية، حيث يخبرنا الرسول ﷺ أن هذه الأمة ستفترق، ثم يبيّن لنا المنهج الذي يجب أن تعتصم به الأمة؛ فإذا اعتصمت أمة بالمنهج توحدت، وإذا افترقت في المنهج اختلفت.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾، لأهل العلم في تأويل هذه الآية قولان:

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: يجب على جميع المؤمنين من صغير وكبير، وحاكم ومحكوم، وملك ومملوك، وحر وصعلوك، وذكر وأنثى، أن يعتصم بحبل الله.

ولا يستثنى أحد من القاعدة، فالخطاب لجميع المؤمنين.

والقول الثاني: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾؛ أي: اعتصموا بحبل الله جميعه؛ فخذوا الإسلام بشموليته وكليته؛ كما أنزل على محمد ﷺ، فلا تفرقوا بين الإسلام؛ فتؤمنون ببعض الكتاب، وتكفرون ببعض، فتكونون كالذين أوتوا الكتاب من قبلكم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض الكتاب.

رد شبهة في وجه التجمع والاجتماع:

وكلا المعنيين مراد وصحيح؛ فإن الأمة لا يمكن أن تجتمع على الإسلام إلا إذا أخذت الإسلام بكليته وجملته، فلا نفرق بين شعائره، لا نفرق بين صغير وكبير، وقشر ولباب، وأصول وفروع، فالإسلام كله من عند الله؛ كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨].

تأملوا خطاب الله -تبارك وتعالى-، يتحبب إليكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾؛ أي: في الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾؛ أي: جميع شعائره وفرائضه، وسننه، وأركانه، وقواعده، ثم قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾؛ لأن الشيطان ينحرف بنا عن الصراط المستقيم، على سياسة الخطوة خطوة، سياسة المرحلة، والتدرج ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، الشيطان ليس له خطوة واحدة، بل خطوات، يبدأ بك من الصغير، ثم الكبير، ثم الأكبر، ثم تنفرج الزاوية، ثم تنسلخ عن الإسلام، والعياذ بالله.

حجية المنهج السلفي في فهم النصوص:

هذا الحديث النبوي، المؤيد بكلام الله أولاً، وبكلام الصحابة: منهج أبي بكر وعمر، يبيِّن لنا المنهج الذي هو حبل الله، والذي ينبغي أن نتمسك فيه.

«كلها في النار إلا واحدة»، من هي يا رسول الله؟! «ما أنا عليه وأصحابي».

أي: ما كان على الكتاب وسنة رسول الله، وما عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية الصحابة الكرام.

مَن مِن المسلمين ينكر هذا الفهم؟! نبئوني بعلم! ألا يريد كل مسلم أن يكون على كتاب الله وعلى سنة رسوله، وعلى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأننا كلنا نريد أن نتشبه بالصحابة؛ لأن خير هذه الأمة هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ فأنت عندما تدعو الله وتسأله الجنة، تقول: اللهم احشرني مع محمد وصحبه، اللهم احشرني مع محمد وحزبه، اللهم احشرني مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، من هم أولئك؟! إنهم محمد وأصحابه، فكل مؤمن موحد مخلص يسأل الله ذلك

من قلبه.

ولذلك دين العوام، وعقيدة العوام؛ هي: دين محمد بن عبدالله، وعقيدة أبي بكر الصديق؛ لأنهم على الفطرة.

لقد تمنى رؤوس أهل الكلام عندما حضرهم الأجل أن يموتوا على دين العجائز؛ كما قال أبو المعالي الجويني -إمام الحرمين-: «ها أنا أموت على دين عجائز نيسابور».

لذلك يا أخي لا تقضي وقتك إلا في تدبر كتاب الله، والتفقه في سنة رسول الله، وكتب العلم الشرعي.

إذًا؛ فكثرة الفرق لا تدل على كثرة أتباعها، بل إن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هي أكثر أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث أبي أمامة الباهلي، حيث وصفهم بالسواد الأعظم، هذا المعنى واضح؛ فخيرية الأمة موجودة، ورحمة الله بالأمة معلومة.

شبهة في الفهم وبيانها:

الأمر الثاني: يقول لك: **«كلها في النار»**، ما تركتم واحدًا إلا دخل في جهنم!

نحن لا نملك مفاتيح الجنة ومفاتيح النار، نحن ندعو إلى رحمة الله، وندعو إلى الجنة؛ ولذلك فقوله ﷺ: **«كلها في النار إلا واحدة»** يرد عليه أمران:

تأصيل وتقعيد بضبط فهم النص النبوي:

أولاً: الذي يدخل جهنم على قسمين:

١- كفار أصليون، مشركون بالله.

٢- عصاة مذنبون.

فالمشرك الأصلي: مخلد في نار جهنم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٩] المشرك والملحد إذا مات شركه سواءً أكان يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا؟! فهو خالد مخلد في نار جهنم.

أما المسلم الذي يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، لا يخلد في نار جهنم؛ لقول النبي ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله نفعته يومًا من دهره، يصيبه قبل ذلك ما أصابه»**[١]، ولكن ربما يدخل النار بالزنى، والربا، وبأكل مال اليتيم، وسائر المهلكات،

---

(١) الصحيحة: (٨٧).

لكن لما يطهر يخرج من النار، ويدخل الجنة، وإذا طهر من النار أدخل الجنة.

فمن قال لا إله إلا الله انتفع بها، هذا ما ندين الله به، ثم يقولون عنَّا أننا مرجئة!

يتهموننا في منهجنا وعقيدتنا، ونحن لا نكرر ولا نقرر إلا قول الحبيب المصطفى ﷺ؛ فانظروا -رحمكم الله- إلى قيمة فهم السلف؛ فقد أخرج ابن ماجه من حديث حذيفة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام؛ كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نسك، ولا صدقة، ويسرى على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير، والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة يقولون: لا إله إلا الله؛ فنحن نقولها»[(١)].

قال صلة بن زفر -تابعي-: لحذيفة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟

---

(١) «صحيح الجامع الصغير» (٢٠٦٨).

فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة؛ فقال: يا صلة! تنجيهم من النار ثلاثًا.

ولذلك هؤلاء على فرض أنهم سيدخلون جهنم لا يخلدون فيها؛ لأنهم من أمة محمد ﷺ، بدلالة قوله: **«وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»**، فهم مسلمون ولكن دخلوا جهنم للتطهير، وليس للخلود.

بين الوعد والوعيد:

الأمر الثاني: قال علماء أهل السنة والجماعة: هذه الأحاديث تسمى بأحاديث الوعيد.

هناك وعد، وهناك وعيد.

الوعد أن يعدك الله خيرًا، بأن يطيل عمرك، بأن يضاعف رزقك، بأن يدخلك الجنة.

أحاديث الوعد ينفذها الله، لا يخلفها أبدًا.

والوعيد: التهديد، إذا فعلت كذا أعاقبك.

هذا الوعيد تحت المشيئة، إن شاء الله عفا فبفضله، وإن شاء عذب فبعدله.

ولله المثل الأعلى: تدخل ابنك المدرسة، فتحثه على الدراسة، وتعده إن كان الأول على زملائه بأن له جائزة، وإن لم يكن متفوقًا بأن له عقوبة.

في آخر السنة، كانت نتيجة الولد أنه الأول؛ فتعطيه ما وعدته؛ لأنك إذا لم توفِ بوعدك اتهمك بالكذب، وتعلمه منك، وأما إذا لم يحقق ذلك؛ فأنت إن شئت عاقبته، أو لم تعاقبه، فأنت بالخيار، إن عاقبته فقد أوعدته، وإن عفوت عنه فهذا فضل منك، ولعله يراجع نفسه، ويجتهد.

وهكذا ولله المثل الأعلى، عفو الله مقدم على عقابه، نأحاديث الوعيد تحت المشيئة، إن شاء عذب، وإن شاء عفا؛ ولذلك قوله ﷺ: «كلها في النار» لا يقتضي أنها تدخل النار؛ لأنه إن شاء عذبها، وإن شاء عفا عنها.

التأكيد على حرمة المسلم:

ولا يفهم من أحاديث الافتراق تكفير المسلم؛ لأن تكفير المسلم خطر، فقد تقدم تحريم الإسلام دم المسلم وماله وعرضه، فالمسلم معصوم، والذي أعطاه هذه العصمة هو رب العزة -تبارك وتعالى-.

قال ﷺ في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»[(١)].

هذه هي حقوق الإنسان، فالمسلم معصوم الدم، معصوم المال، معصوم العرض، ولذلك جاءت الآيات والأحاديث تحذر من تكفير المسلم؛ لأن هذا الكفر إما عليه أو عليك.

قال ﷺ: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[(٢)].

إن لم يكن صاحبك كما قلت، فهي راجعة عليك، ولذلك يا إخواني الخطأ في العفو أهون أم في العقوبة؟!

لذلك منهجنا السلفي لا يكفر مسلمًا، إلا بتحقق شروط وانتفاء موانع بيَّنها الله ورسوله.

قصة طريفة تبين اعتدال منهج الألباني وتلاميذه:

ونذكر قصة للحقيقة والتاريخ:

لما جاء شيخنا الألباني -رحمه الله- من سوريا إلى الأردن واستقر في هذا البلد الطيب المبارك؛ -لأن هذه أرض مباركة، فهي

---

(١) متفق عليه.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦-١٧).

قطعة من بلاد الشام، التي بارك الله فيها للعالمين-، فقيل لأحد العلماء الرسميين: إن الشيخ الألباني وتلاميذه يكفرون الناس.

فرفع سماعة الهاتف متصلاً بالشيخ الألباني.

فرد الشيخ: نعم.

فقال المتصل: الغريب ينبغي أن يكون أديبًا!

قال الشيخ الألباني: خير يا شيخ!

قال المتصل: أنت وتلاميذك تكفرون الناس.

قال الشيخ الألباني: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ ... أكمل الآية، وأنا أريد أن أسألك سؤالاً، فأجبني عنه بوضوح.

قال المتصل: اسأل.

قال الشيخ الألباني: إذا رأيت رجلاً يقف نحو قبر، ويقول: أريد أن أصلي ركعتين لصاحب هذا القبر، ما حكمه؟!

قال المتصل: كافر!

قال له شيخنا: نحن لا نكفره، بل نقول: جاهل نعلمه! ولا نكفره مباشرة إلا بعد قيام الحجة.

وبعد أيام جاء الشيخ المعترض زائرًا لبيت شيخنا الألباني وقبّل يده!

إذًا التكفير له شروط يجب أن تتحقق، وله موانع يجب أن تنتفي؛ فاحذروا يا إخوة الإسلام فتنة التكفير.

لقد بين الله أن هذا الخلاف واقع بين أمة محمد، ولكنه دعاهم إلى الائتلاف، والتوحد، والاعتصام بحبل الله المتين.

من هم الدعاة الذين نريد:

والآن كثيرون ينادون بالاعتصام والوحدة، وهم ينقسمون إلى قسمين:

١- دعاة يدعون الأمة للتوحد بجميع أطيافها، واختلاف ألوانها، وتبقى كما هي، المهم أن تكون أمة واحدة على اختلافها.

٢- وآخرون يدعون هذه الأمة إلى الوحدة على كتاب الله وعلى سنة رسول الله ﷺ ومنهج السلف الصالح.

القسم الأول: لا يمكن أن تنجح دعوتهم في توحيد الأمة؛ لأنه دعوة فاشلة؛ لأنه أصل دعوة التقريب بين المذاهب: إقرار كل مذهب على ما هو عليه، وهذا يعني: أن الإسلام متناقض؛ لأنه يوجد في المذاهب ما ليس من الإسلام.

وإليكم مثلاً: المذهب الحنفي لا يحرم من الخمر إلا ما كان من العنب، ولا يحرم من الخمر إلا الشربة الأخيرة، وجمهور العلماء يقولون: الخمر ما خامر العقل، وما أسكر كثيره فقليله حرام.

إذا أردنا أن نجمع هذا المذهب ومذهب الجمهور، فهذا يعني أنهما صحيحان، فهل حكم الله في الأمر مختلف؟! فيه الحق ونقيضه؟!

لا شك أن حكم الله واحد، وأن الحق واحد لا يتعدد: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾

هؤلاء يريدون أن يجمعوا المذهبين، أو المذاهب يقول كل واحد منهم لغيره: أن مذهبك صحيح، وغيرك -أيضًا- مذهبه صحيح!!

والقرآن الكريم يقرر لنا جميعًا أن الحق واحد لا يتعدد.

إذًا لا بد أن يكون صواب وخطأ، فكيف نجمع الخطأ مع الصواب، إن هذا لشيء عجاب!

الناظر في أصحاب المذاهب، وأرباب الأحزاب يرى أن كل

مذهب وكل حزب يعد نفسه هو الأصل، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، كل حزب يقول: أنا عندي اكتفاء ذاتي.

مع أن الله جعل التعاون سنة كونية لاستمرار الحياة، فالطبيب نحتاجه للعلاج، والمهندس نحتاجه للبناء، والمدرس نحتاجه للتدريس . . . وهكذا.

الناس للناس من بدو وحاضرة ... بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدم

إذا كان الناس في الدنيا يحتاجون بعضهم بعضًا، فما بالكم في الدين. . . هم أشد حاجة، فكيف يقول كل حزب: أنا عندي اكتفاء ذاتي.

فالحقيقة: أن كل مذهب من المذاهب يعتقد أنه على الصواب المطلق، وغيره على خطأ، حتى احتمال الخطأ غير وارد عنده.

السنة تبين ولا يخاصم عليها:

وكثير من الناس يستدلون بقول الشافعي: كلامي صواب يحتمل الخطأ، وكلام غيري خطأ يحتمل الصواب.

أنا أقول: يا ليتنا نقول هذا القول، ونسير على هذا الدرب.

كلامنا صواب يحتمل الخطأ، وكلام غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

لأخينا البحث العلمي، والتحقيق المنهجي، أنت تبحث، وأنا أبحث، أنت تحاورني، وأنا أحاورك، أنت تعلمني، وأنا أعلمك؛ فنصل إلى الحقيقة.

انظروا إلى علمائنا -رحمهم الله- كيف علمونا الأدب في النقاش، فقد تناظر الشافعي مع أبي عبيد القاسم بن سلام في معنى (القُرْء)، أحدهم يقول: الحيضة، والآخر يقول: الطهر، هذا يدلي بحجته، والآخر يدلي بحجته، حتى أخذ الشافعي بقول أبي عبيد، وأخذ أبو عبيد بقول الشافعي!!

كل واحد تبنى قول الآخر، وبقيا إخوة متحابين، فالخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية! بشرط الإخلاص، ومتابعة النبي ﷺ، وحب هذه الأمة.

قال يونس الصفدي: «ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يومًا في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى! ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة؟».

قال الذهبي -تعليقًا على هذه الحادثة-: «قلت: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون»[(١)].

---

(١) متفق عليه، وزيادة (من الخير) عند الإمام أحمد.

فأتمنى أن يظهر الله الحق على لسان أخي، فلأن يظهر الله الحق على لسان أخي، أحب إليّ من أن يظهر الحق على لساني، ولأن يظهر الحق على لساني ولا ينسب إلي، أحب من أن يظهر الحق على لساني وينسب إلي.

فالسلف كانوا يخشون الفتنة، يخشون الرياء، يخشون العجب؛ لأن حب الظهور يقصم الظهور.

من فوائد حديث الافتراق:

هذا المراد من حديث الافتراق: تجده إيجابيًا، يدعو إلى توحيد المسلمين.

تجده حديثًا إيجابيًا يدعو إلى نبذ الخلاف.

تجده إيجابيًا يريد لهذه الأمة أن تتميز، لا يريدنا أن نكون تبعًا لغيرنا ... أمة متميزة حتى في شعورها، حتى في عقائدها، وفي فكرها، وفي كل أمر من أمور حياتها؛ لأنها خير أمة أخرجت للناس، وخير أمة أخرجت للناس لا تتشبه بغيرها، ولكن غيرها يتشبه بها.

خطر التقليد على أمة محمد ﷺ:

خير أمة أخرجت للناس لا تشبه، لا تقلد غيرها، بل غيرها يقلدها؛ لأن خطورة التقليد عظيمة؛ فالظاهر يؤثر على الباطن.

الآن بناتنا لما يشاهدن (التلفاز)، ويتأثرن بالممثلات، ويتشبهن بهن، بملابسهن، بمشيتهن، حتى تدخل إلى سويداء قلوبهن، وهذا دليل حبهن لهن، وتعلقهن بهن.

بل وتصبح الواحدة منهن تريد من زوجها هذا النوع من اللباس، وهذا النوع من الطعام، وهذا النوع من الأثاث المنزلي...

ولكن محمد بن عبد الله ﷺ ماذا يريد؟!!

لقد أجرى بعضهم استطلاعًا للرأي في إحدى جامعاتنا على مئة طالب؛ أيهم يحفظ سورة الكوثر!

وكانت النتيجة ثلاثة بالمئة فقط.

نسأل الله - سبحانه وتعالى- أن يرحمنا، وأن يعفو عنا، وأن يجمع كلمتنا، وأن يجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وأن يؤلف بين قلوبنا؛ لأن أهم أمر هو تأليف القلوب!

أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك من الخير؛ كما قال ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير»**[(١)].

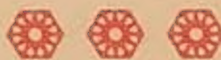
ماذا يجب علينا؟:

هذا الذي نريده في المرحلة الأولى: أن نلغي الغل، والشحناء، والبغضاء، والتنافس، والحسد، والحقد من نفوسنا، ونحب الخير لبعضنا، وندعو في ظهر الغيب لبعضنا؛ لأنك عندما تدعو لأخيك، ويستجاب لدعوتك في أخيك، يوكل مَلَكٌ يرد عليك ويقول: **«ولك مثله»**.

فإذا استجاب الله دعوتك لأخيك بظهر الغيب، استجاب دعوة الملك فيك بظهر الغيب.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ٦٠﴾.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.



الفهرس

بشرى المشتاق

بصحة حديث الافتراق

حوارات علمية مع سلمان العودة حول حديث افتراق الأمة الإسلامية

دار الكتاب والسنة
للطباعة والنشر والتوزيع
الإدارة والمقر الرئيسى
٩ شارع احمد اسماعيل متفرع من شارع منشية التحرير
من شارع جسر السويس عين شمس الشرقية القاهرة
جمهورية مصر العربية
جوال : ٠١٠١٠٢١١٨٧٠
البريد الإلكترونى :
dar_alktabwalsunnah@yahoo.com
Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com
الموقع الرسمى www.dar-ketab-sunah.com

دار الأثرية
الجزائر
27 حى الشيخ الطاهر طريق مسجد العزيز مقابل
مديرية الشئون الدينية - عنابة - الجزائر
البريد الإلكترونى dar_elatharia@yahoo.fr
dar_elatharia1@Hotmail.com
جوال : 071250836 / 072286800